مَوْقفُ الامتحان الاعتقاديّ والعَمَليّ

الإمام الشيخ
عبد الله سراج الدين
رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها)

من الصفحة ٣٧٣ حتى الصفحة ٣٩٨

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناء على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم مؤلفات الإمام
ـ المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

موقف الامتحان الاعتقادي والعملي

إن أول الامتحانات التي تمرّ على الإنسان حين يَنتقل من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة؛ هو الامتحان بالسؤال الذي يُلقى عليه في القبر، الذي هو أول برازخ الآخرة كما تقدم.

وإن الامتحانات التي تَجري عليه يوم القيامة هو الامتحان في العقيدة والعمل.

أما الامتحان الاعتقاديُّ: فإنَّ الله تعالى يَمتحن العباد يوم القيامة في معتقداتهم التي اعتقدوها برب العالمين؛ حين كانوا في الدنيا، وبهذا الامتحان يتميَّز المنافق الكاذب من المؤمن الصادق، ويظهر أهل الإيمان الصحيح والاعتقاد الصادق، وأهل الإيمان الكاذب والعقيدة الفاسدة.

وأما الامتحان العمليُّ: فإن الله تعالى يَمتحن العباد يوم القيامة بأمرهم بالسجود له سبحانه، وبهذا الامتحان: يتبيّن المؤمن الصادق المخلص بعباداته، ممن هو كان في الدنيا منافقاً أو مرائياً في عباداته وأعماله.

روى الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هل تُضارُّون[1] في رؤية القمر ليلة البدر»؟

قالوا: لا يا رسول الله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هل تُضارّون في الشمس ليس دونها سحاب»؟

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: «فإنكم ترونه كذلك»[2].

«يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: مَن كان يعبد شيئاً فليتْبعه.

---

(١) قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: وفي الرواية الأخرى: «هل تُضامُّون» وروي «تُضارون» بتشديد الراء وبتخفيفها، والتاء مضمومة فيهما:
ومعنى المشدَّدة: هل تضارون غيرَكم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها ـ لخفائه؛ كما تفعلون أول ليلة من الشهر؟
ومعنى المخفَّفة: هل تلحقكم في رؤيته ضَير؟ وهو الضرر.
وروي أيضاً: «تضامُّون» بتشديد الميم وتخفيفها.
فمن شدَّدها فتح التاء، ومن خفَّفها ضمَّ التاء.
ومعنى المشدّدة: هل تتضامُّون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته؟
ومعنى المخفَّف: هل يلحقكم ضَيم؟ وهو المشقة والتعب.
قال: وفي رواية للبخاري: «لا تضامون أو لا تضارون» على الشك (من الراوي) ومعناه: لا يشتبه عليكم، وترتابون فيه، فيعارض بعضكم بعضاً في رؤيته، والله أعلم. اهـ.

(٢) ووجه التشبيه في ذلك: هو قوة الجلاء والوضوح، وزوال الشك والمشقة والاختلاف ـ كما في: (شرح) مسلم.

فيتبع من كان يعبد الشمسَ: الشمسَ، ويتبع مَن كان يعبد القمر: القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت[1] الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمَّة فيها منافقوها[2].

فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورةٍ غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه.

فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يَعرفون فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه[3].

---

(١) جمع طاغوت، وهو كل ما عبد من دون الله تعالى، لما في ذلك من الطغيان، ولذا قال علماء اللغة: هو على وزن فَعْلوت، والتاء زائدة، وهو مشتق من طغىٰ، وتقديره: طَغَووت، ثم قلبت الواو ألفاً.

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قال العلماء: إنما بَقوا ـ أي: بقي المنافقون من هذه الأمة في جملة المؤمنين من هذه الأمة ـ إنّما بقوا في زُمرة المؤمنين لأنهم كانوا في الدنيا متسترين بهم، فيتستَّرون بهم أيضاً في الآخرة، وسلكوا مسلكهم ودخلوا في جملتهم، وتبعوهم ومشوا في نورهم، حتى ضُرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبله العذاب، وذهب عنهم نور المؤمنين.
قال بعض العلماء: هؤلاء هم المطرودون من الحوض الذين يقال لهم: سُحقاً سحقاً والله أعلم. اهـ.

(٣) أي: فيتبعون أمر الله تعالى إياهم بذهابهم إلى الجنة، أَوْ يتبعون دعوة الله تعالى لهم إلى الجنة، فيستجيبون لدعوته.
قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾. =

ويُضرب الصراط بين ظَهْري جهنم، فأكون أنا وأمتي أوَّل مَن يُجيز» الحديث وسيأتي تمامه إن شاء الله تعالى.

الكلام على الصورة الوارد ذكرها في الحديث المتقدم:

قال الإمام النووي رضي الله عنه: اعلم أَنّ لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين:

أحدهما: وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أَنّه لا يُتكلَّم في معناها، بل يقولون: يَجب علينا أَنْ نؤمن بها، ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته، مع اعتقادنا الجازم أَنّ الله تعالى ليس كمثله شيء، وأَنَّه منزَّه عن التجسُّم والانتقال، والتحيُّز في جهة، وعن سائر صفات المخلوقين ـ وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين، واختاره جماعة من محقِّقيهم، وهو أسلم.

والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين: أنها تتأوَّل على ما يليق بها، على حسب مواقعها.

والتأويل هو: صرف الكلام عن ظاهره الموهم للتشبيه، إلى معنى آخر لائق وموافق لبقية النصوص مع التنزيه.

= فكما أنه سبحانه دعاهم إلى دار السلام حين كانوا في الدنيا، ليستعدّوا لها بامتثال أوامره، والقيام بعبادته، واجتناب ما نهاهم عنه فاستجابوا لذلك، كذلك يدعوهم إلى دار السلام يوم القيامة ليُسعدهم بدخولها، ويُنعمهم بأثمارها وأنوارها، وأسرارها، فيدخلهم دار السلام، ويحييهم بالسلام.

قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ﴾.

وقال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

قال رضي الله عنه: وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله، بِأَنْ يكون عارفاً بلسان العرب، وقواعد الأصول والفروع، ذا رياضةٍ في العلم.

فعلى هذا المذهب يُقال في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فيأتيهم الله»: إن الإِتيان عبارة عن رؤيتهم إيَّاه سبحانه، لأن العادة أَنَّ من غاب عن غيره لا يُمكنه رؤيته إلا بالإِتيان، فعبَّر بالإِتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازاً.

وقيل: الإِتيان هو فعل من أفعال الله تعالى سمَّاه إتياناً.

وقيل: المراد بـ «يأتيهم الله»: أي يأتيهم بعض ملائكة الله تعالى.

قال القاضي رحمه الله تعالى: وهذا الوجه أشبه عندي بالحديث.

قال: ويكون هذا الملَك الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها من سِماتِ الحَدَث الظاهرة على الملك والمخلوق.

قال: أو يكون معناه: يأتيهم الله في صورة أي: يأتيهم بصورة، ويظهرها لهم من صور الملائكة ومخلوقاته، التي لا تُشبه صفات الإلّه ليختبرهم، وهذا آخر امتحان المؤمنين، فإذا قال لهم هذا الملك أو هذه الصورة: أنا ربكم، رأوا عليه من علامات المخلوق ما يُنكرونه، ويعلمون أنه ليس ربَّهم، ويستعيذون بالله منه. اهـ.

قال الإمام النووي رضي الله عنه: وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون»: فالمراد بالصورة هنا

الصفة، ومعناه: فيتجلَّى الله سبحانه وتعالى لهم على الصفة التي يَعلمونها، ويعرفونه بها.

وإنما عرفوه بصفته وإنْ لم تكن تَقدَّمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى: لأنهم يَرونه لا يُشبه شيئاً من مخلوقاته، وقد علموا ـ أي: حين كانوا في الدنيا ـ أنه سبحانه لا يُشبه شيئاً من مخلوقاته، فيعلمون أَنّه ربهم فيقولون: أنت ربُّنا.

وإنما عبَّر بالصورة عن الصفة لمشابهتها إياه، ولمجانسة الكلام، فإنه تقدم ذكر الصورة. اهـ.

أي: فيكون هذا من باب المشاكلة، وهو فنٌّ بديع من أنواع البديع، وذلك بأنْ يُذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبة غيره: تحقيقاً أو تقديراً كما هو معروف في موضعه.

وإنما فسَّر العلماء الصورة الواردة في هذا الحديث بالصفة، لأن تفسير الصورة بالهيئة الشكلية لا يجوز في جناب الحق جلَّ وعلا، فإنَّه سبحانه منزَّه عن الهيئة، وعن التشكُّل بشكل، لأن ذلك من سِمات الحوادث الجسمية، وإنَّ الله تعالى ليس بجسم ولا بجسماني، ولا هو رُوح ولا روحاني، بل هو هو كما هو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

هذا؛ وإنَّ إطلاق الصورة على الصفة هو أمر شائع وارد في كثير من الأحاديث النبوية.

فقد روى البخاري في: (صحيحه) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أوَّل زمرةٍ تَلِج ـ أي: تدخل ـ الجنة صورتهم صورةُ القمر ليلة البدر».

وفي رواية أخرى: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على إثرهم كأشدِّ كوكب إضاءة» الحديث.

فإن المراد هنا بصورة القمر صفته النيِّرة، التي اتصف بها، وليس المراد بصورته هنا هيئَته المستديرة الشكل، فإنه لا يخطر على أضعف العقول أَنّ أهل الجنة يدخلون الجنة على شكل مستدير كاستدارة القمر!.

وهكذا تقول: صورةُ المسألة كذا وكذا، تُريد: صفتها كذا وكذا.

قال الإمام النووي رضي الله عنه: وأما قولهم «نعوذ بالله منك»:

فقال الخطَّابي: يحتمل أن تكون هذه الاستعاذة من المنافقين خاصة. اهـ.

قال النووي: وأنكر القاضي عياض هذا، وقال: لا يصح أن تكون من قول المنافقين، ولا يستقيم الكلام به.

قال النووي: وهذا الذي قاله القاضي هو الصواب، واللفظ مصرِّح به أو ظاهر فيه، وإنما استعاذوا منه لما قدمناه من كَونهم رأوا سمات المخلوقين. اهـ.

وقد ذكر الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي رضي الله عنه في مواضع من كتبه حول الأحاديث المتشابهة فقال: إن هذا الحديث الذي فيه ذكر الصورة هو من الأحاديث المتشابهة، ومرجعها الآيات والأحاديث المحكمة، وكل مَن له نور من الله تعالى له في مرجعها إلى المحكَم فِهمٌ على حسب نوره.

قال: ونحن نذكر مبلغ علمنا وفهمنا فيه، ونسأل الله تعالى أن يَهدينا لما اختُلف فيه من الحق بإذنه.

قال: فاعلم أَنَّ للصورة التي يأتي فيها ربنا سبحانه وتعالى يوم القيامة مظهراً وحقيقة: فالحقيقة هي الظُّلَّة في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الآية، فعُلم بذلك أَنّ مظاهر تجلِّيه لعباده هي ظلل غمامة، وحقائق هذه الظلل آياته القرآنية، التي تعرَّف بها لخلقه بواسطة أنبيائه صلوات الله تعالى عليهم، وقد ثبت في الصحيح تمحُّض ـ أي: تشخُّص وتمثّل ـ حقائق آياته كالظُّلل.

ففي: (صحيح) مسلم وغيره، من حديث أبي أمامة وحديث النواس بن سمعان رضي الله عنهما: أن القرآن يوم القيامة يأتي تقدمه سورة البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو ظلَّتان سوداوان بينهما شَرْق ـ أي: ضوء ـ[1].

قال: وأما مظهر الصورة: فهو العمل، وقد ثبت تشخص ـ أي: تمثل ـ الأعمال بصورٍ شتى، كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه بإسناد صحيح، أخرجه أصحاب المسانيد كالإمام أحمد وغيره، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الميت المؤمن يُفسح له في قبره مدَّ البصر، ويمثَّل له عمله في صورة رجل حسن الوجه، طيِّب الريح، حسن الثياب فيقول: مَن أنت؟

فيقول: أنا عملك الصالح.

---

(١) قد تقدمت هذه الأحاديث في بحث: تمثل الأعمال خيرها وشرها.

وإن الفاجر يُمثَّل له عمله في صورة رجل: قبيح الوجه، منتن الريح فيقول: مَن أنت؟

فيقول: أنا عملك» الحديث.

قال: وقد صحَّ تمثُّل الموت بكبش أملح يوم القيامة، ويوقف على السُّور بين الجنة والنار ويذبح. اهـ.

قلت: وحاصل ما ذكره العارفون حولَ حديث الإتيان بصورة: هو أَنَّ ذلك من باب التجلِّي الصوريِّ المقرر عندهم رضي الله عنهم.

وقد تقرّر عندهم أن التجلي هو عبارة عن ظهور تجلٍّ أعظم بصورة ـ أي: بصفة ـ منزَّهة مقدَّسة، على حسب استعداد الإنسان المتجلَّى له، وعلى حسب معرفته، ولا يكون إلا بقدر استعداد المتجلَّى له، والتجلِّي لا يتكرر للمتجلَّى له ولا لغيره ـ فافهم ذلك.

واعلم أَنَّ العلماء والعرفاء وعلماء الشريعة والحقيقة كلهم مجمعون على إثبات وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، وأنه سبحانه منزه عن الحلول في شيء ما، ومنزَّه عن الاتحاد بشيء ما، ومنزَّه عن جميع صفات المخلوقين، وعن مُشابهة خلقه، بل هو سبحانه كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: فلا أحد قبله، ولا أحد بعده، ولا أحد معه ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ المصمود إليه في كل شيء، والعالَمُ كلهم محتاجون إليه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

الامتحـــان العمـــلي

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴾.

روى البخاري، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يَكشف ربُّنا عن ساقه فيسجد له كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، ويبقى مَن كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة: فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»(١).

والمعنى أَنَّ ربَّ العزّة يكشف يوم القيامة عن ساقٍ أي: عن أمر عظيم وهول وشدّة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة. اهـ.

والكشف عن الساق هو مَثَلٌ تَضْربه العرب لشدَّة الأمر، ولهذا يقولون: قامت الحرب على ساقٍ.

وقال الشيخ الأكبر رحمه الله تعالى: والساق التي كُشفت لهم عبارة عن أمرٍ عظيم من أهوال القيامة، وكذلك ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي: دخلت الأمور العظام بعضها في بعض. اهـ.

قال القاضي عياض رضي الله تعالى عنه: وقيل: المراد بالساق

---

(١) قال الحافظ ابن كثير: وهذا الحديث مُخرج في: (الصحيحين) وفي غيرهما من طرق، وله ألفاظ، وهو حديث طويل مشهور اهـ. أقول: وستأتي رواية مسلم لهذا الحديث بطوله.

هنا نور عظيم، وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. اهـ.

وأشار بذلك إلى الحديث الذي رواه أبو يعلى، وابن جرير بإسنادهما، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يُكشف عن ساقٍ ـ يعني: عن نور عظيم ـ يَخرُّون له سجداً»[1].

والمعنى: أنه سبحانه يتجلَّى على عباده في مواقف القيامة بنور عظيم، فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين والمنافقين أن يسجد له، بل يَعُود ظهر أحدهم طبقاً، وفي رواية: «طبقةً واحدة».

ونقل النووي عن الهروي وغيره أَنَّ الطبق هنا فَقَار الظهر، أي: صار فقار ظهره فقارة واحدة، فلا يَقْدر أن يسجد، كُلَّما أراد أَنْ يسجد خرَّ لقفاه عكس السجود، وذلك عقوبة لهم، لأنهم كانوا في الدنيا يُدعون إلى السجود لله تعالى وهم سالمون، يستطيعون السجود فلم يسجدوا كِبْراً وكُفراً، فكان جزاؤهم ذلك وفاقاً.

قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى: وهذه الرؤية التي في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي في الجنة لكرامة أولياء الله تعالى، وإنما هذه للامتحان ـ والله أعلم. اهـ.

يعني: أَنّ هذا الموقف فيه امتحان للمكلفين في عالم الدنيا، يتبيَّن الساجد الصادق من المرائي المنافق.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير عند الآية الكريمة.

روى الإمام مسلم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن ناساً في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم هل تُضارُّون في رؤية الشمس صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب»؟

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: «ما تضارّون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارّون في رؤية أحدهما.

إذا كان يوم القيامة أذَّن مؤذِّن لتتَّبعْ كلُّ أمةٍ ما كانت تعبد ـ فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا مَن كان يعبد الله من بَرٍّ وفاجرٍ وغُبَّر أهل الكتاب(١).

فيُدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟

قالوا: كنّا نعبد عزيراً ابن الله.

فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ـ فماذا تبغون؟

قالوا: عطشنا يا ربنا، فاسقنا ـ فيشار إليهم: ألا تَرِدون؟ فيحشرون إلى النار، كأنها سراب(٢) يُحَطِّم بعضها بعضاً ـ

---

(١) قال النووي رضي الله عنه: أما البَرُّ فهو المطيع، وأما غُبَّر: فبضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحَّدة المشددة ومعناه: بقاياهم جمع غابر. اهـ.

(٢) قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: أَما السَّراب فهو الذي يَتَراءى للناس=

فيتساقطون في النار.

ثم يُدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟

قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله.

فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد.

فيقال لهم: ماذا تبغون؟

فيقولون: عطشنا يا ربَّنا فاسقنا - فيشار إليهم ألا تَرِدُون؟ فيحشرون إلى جهنم، كأنها سَراب يُحَطِّم بعضها بعضاً - فيتساقطون في النار.

حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بـرٍّ وفاجرٍ: أتاهم ربُّ العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها. قال: فما تنتظرون؟ تتبع كلُّ أمة ما كانت تعبد.

قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كُنَّا إليهم، ولم نصاحبهم.

فيقول: أنا ربكم.

= في الأرض القفر؛ والقاع المستوي: وسط النهار؛ في الحر الشديد لامعاً مثل الماء، يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

فالكفار يأتون جهنم - أعاذنا الله الكريم وسائر المسلمين منها ومن كل مكروه - وهم عطاش، فيحسبونها ماءً فيتساقطون فيها.

وأما أَنها «يُحطم بعضها بعضاً» فمعناه: لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لَهبها، والحطم: الكسر والإهلاك، والحُطمة اسم من أسماء النار، لكونها تُحَطِّم ما يُلقىٰ فيها. اهـ.

فيقولون: نعوذ بالله، لا نشرك بالله شيئاً ـ مرتين أو ثلاثاً، حتى إنَّ بعضهم ليكاد أن ينقلب.

فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟

فيقولون: نعم ـ فيُكشف عن ساقٍ فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلَّما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه.

ثم يرفعون رؤوسهم وقد تَحوَّل في صورته التي رأوه فيها، فقال: أنا ربكم.

فيقولون: أنت ربُّنا.

ثم يُضرب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة» الحديث، وسيأتي تمامه في عالم الصراط إن شاء الله تعالى.

وفي هذا الموقف تنجلي الأمور، وتنكشف القضايا الاعتقادية والعملية، فتظهر حقيقة الإيمان الحقِّ، والعمل الحق، ويظهر بُطلان الباطل، وتلك الأوهام والتخيلات الاعتقادية الفاسدة.

قال الله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

وهذا عامٌّ في كل العوالم: في الدنيا والبرزخ والآخرة.

فهو سبحانه يُحقُّ الحق، وإحقاق الحق هو إظهار حقيقته وحقيَّته، وإبطال الباطلِ إظهار بطلانه.

فالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وما جاء عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كلُّ ذلك

حقٌّ، ولكل حقٍّ حقيقة لا بدَّ وأن تظهر.

وفي الحديث المشهور، الذي رواه المحدثون متصلاً ومرسلاً: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لحارثة: «كيف أصبحتَ يا حارثة»؟

فقال: أصبحت مؤمناً حقاً يا رسول الله.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «انظر ما تقول، فإن لكل حقٍّ حقيقة، فما حقيقة إيمانك»؟ الحديث.

أي: فما هي الحقيقة الإيمانية التي تحققتَ بها؟

وروى أبو نعيم في: (الحلية) عن معاذ رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ لكل قول مصداقاً، ولكل حق حقيقة» الحديث.

وإن الله تعالى سوف يُظهر حقائق الإيمان التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيراها المؤمنون، ويشهدونها عياناً، قضايا حقَّةً وحقائق ثابتة.

لأن الإيمان له حقائق ووثائق، وأما الكفر فلا حقيقة له ولا وثيقة.

وقد روى أبو نعيم في: (الحلية) بإسناده، عن أيوب السختياني رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول في دعائه: اللهم إني أسألك الإيمان وحقائقه ووثائقه، وكريم ما مننتَ به عليَّ من الأعمال التي يُنال بها مِنك حسن الثواب.

اللهم اجعلنا ممن يتقيك ويخافك، ويرجوك ويستحييك.

اللهم استرنا بالعافية. اهـ.

وأما الكفر بأنواعه فهو باطل، والباطل لا حقيقة له، وإنما هو ظنٌّ فاسد، أو وهم باطل، خُيِّل إلى صاحبه أَنَّ الأمر كذا وكذا، ولكن الحقيقة الواقعية الثابتة ليست بذاك، فلا بدَّ وأن يظهر بُطلان ذلك الباطل.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَـٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

اللهم اجعل لنا من لدنك نوراً ـ اللهم آمين.

فقد ضرب الله تعالى في هاتين الآيتين الكريمتين مثلين للكفار: مثلاً بالسراب، ومثلاً بالظلمات المتراكمة، لأن الكفار المعْرِضين عن الحق والهدي الذي أنزله الله تعالى على رسله صلوات الله عليهم ـ هم نوعان:

أحدهما: الذين يظنون أنهم على شيء فيتبيَّن لهم عند انكشاف الحقائق خلاف ما كانوا يظنونه، وهذه حال أهل الجهل، والأهواء الفاسدة، وأتباع الآراء الفاسدة، الذين يظنون أنهم على هُدى وعِلم، فإذا جاءت الحاقَّة، وانكشفت الأمور: تَبَيَّنَ أَنَّهم ليسوا على شيء، وأَنَّ عقائدهم وأعمالهم التي ترتَّبتْ على تلك العقائد الضالة إنَّما هي كسراب بقيعة.

والسراب هو: ما يُرى في البرِّ في منتصف النهار، وعند اشتداد الحرِّ، يُخيَّل للناظر أَنه ماء سارب ـ فعقائد الكفار وأعمالهم

المترتبة عليها، والتي عملوها لغير الله تعالى، وعلى غير ما شرعه الله تعالى من: تعبُّدات عبدوا بها، وقرباتٍ تقرَّبوا بها لم يشرعها الله تعالى، يَحسبون أنّها تنفعهم، ولكن هي في الواقع كسراب بقيعة ـ أي: بأرض قفراء، وخالية من البناء، والشجر، والنبات والعالَم، يَحسبه الظمآن الذي قد اشتدَّ عطشه ـ يحسبه ماءً، فيتبعه ليشرب فيرویٰ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، بل خانه أحوج ما كان إليه.

وكذلك الكفار الذين اتبعوا أهواءهم في: عقائدهم وأعمالهم، وهم يحسبون أنهم على شيء، قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

فإذا جاءهم يوم القيامة لم يَجِدْ أحدهم لعقائده الباطلة، وأعماله الفاسدة المترتبة على تلك العقائد؛ لم يجد لها أثراً، ولم يَجِدْها شيئاً لأنها باطلة، والباطل كاسْمه لا حقيقة له كالسراب، وإنما هي خيالات وأوهام لا حقيقة لها.

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾.

روى عَبْدُ بن حُمَيْد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طريق السُدِّي، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ الكفار يُبعثون يوم القيامة وُرداً عطاشاً فيقولون أين الماء؟

فيمثل لهم السراب، فيحسبونه ماءً، فينطلقون إليه فيجدون الله تعالى ـ أي: في موقف الحساب ـ فيوفيهم حسابهم، والله سريع الحساب».

وقد تقدم في الحديث السابق ما يدل على ذلك.

فهذا مثل الكفار الذين يحسبون أنهم عل هدىً، وأنَّهم على

شيء، ثم يتبين لهم أنهم ليسوا على شيء.

وأما النوع الثاني من الكفار الذين ضرب الله لهم مثلاً بالظلمات المتراكمة: فهم الذين عرفوا الحق والهدى الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولكنهم لم يعترفوا، بل أعرضوا عنه وجحدوا، وآثروا عليه ظلمات الباطل والضلال، فتراكمت عليهم ظُلمة الطبع، وظلمة ظلم النفوس، فإنهم ظَلموا أنفسهم؛ حيث لم يسلكوا بها طريق الحق وقد عرفوه ـ وإن الظلم ظلمات.

واجتمعت عليهم ظلمة الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم، لأنَّهم عَلموا الحق وعرفوه؛ ولكنهم لم يعملوا به، فصاروا كالجاهلين الذين لم يعملوا، لأنهم لم يَعْلموا ـ إذ الجهل نوعان: جهل علم، وجهل عمل.

واجتمع على هؤلاء ظلمة اتِّباع الغيِّ والهوى، فحال هؤلاء: كحال مَنْ هو في بحر لجيٍّ لا ساحل له، وقد غشيه موج، ومِنْ فوق ذلك الموج مَوْج، ومن فوقه سحاب مظلم، فهو في ظلمة البحر، وظلمة الموج، وظلمة الموج فوق الموج، وظُلمة السحاب المتراكم عليه ـ نعوذ بالله تعالى.

وَيُحتمل أَنَّ هذين المثالين المذكورين في الآيتين المتقدمتين هما لجميع طوائف الكفار جملة:

فالمثال الأول: هو بالنسبة لأعمالهم التعبدية التي كانوا يرجون نفعها؛ فإذا بها كالسراب لا تنفعهم شيئاً.

والمثال الثاني: هو بالنسبة لتراكم شبهاتهم وضلالاتهم الاعتقادية، يتخبَّطون في ظلماتها، فهم كالذي تراكمت عليه

ظلمات البحر والأمواج والسحاب من فوقها.

وأما المؤمنون بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبجميع ما أمرهم الله تعالى به على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فأولئك ضرب الله تعالى لهم مَثَلاً بالنور الوضَّاء، وقَدَّم ذكر هذا المثل الوضَّاء النورانيِّ على المثال القاتم الظلماني.

فقال سبحانه: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

ففي هذه الآية الكريمة ذكر سبحانه النور الذي أَظهر به وجود الأكوان، والنور الذي أضاء به القلوب بالإيمان:

فالأول أشار إليه بقوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

فهو سبحانه الذي أفاض على السموات والأرض وما فيهن نور الوجود؛ فأظهرها من ظلمة العدم الإمكاني، فإِنَّ النور هو ما كان ظاهراً بنفسه ومُظهراً لغيره، وما مِنْ ظاهر في الوجود إلاَّ والذي أظهر وجوده هو أظهرُ وجوداً منه، ولا مِنْ نيِّرٍ إلاَّ والذي نوَّره هو أقوى نوراً منه.

فسبحان من أظهر الظاهرات بعد ما كانت في خفايا الظلمات.

وسبحان من نَوَّر النيِّرات فأشرق نورها على الكائنات.

وسبحان من تجلَّى بنور الإيجاد على الظلمات العدمية فأشرقت بنور الوجود.

وفي: (الصحيحين) أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا

قام يتهجَّد في الليل قال: «اللهم ربنا لك الحمد أنت قيِّم السموات والأرض ومَن فيهن، ولك الحمد أنت نُور السموات والأرض ومَن فيهن، ولك الحمد أنت ربُّ السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت مالك السموات والأرض ومن فيهن» الحديث.

وجاء في دعائه صلى الله عليه وآله وسلم: «أَعُوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءتْ له السموات والأرض، وأشرقتْ له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة: أَنْ يحلَّ بِي سخطك، أو أن ينزل عليّ غضبك، ولك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

وأما النور الذي أضاء القلوب بالإيمان والمعرفة فهو المذكور في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ فقد قال أُبيُّ بن كعب وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم أجمعين: إنَّ المعنى مثل نور الله تعالى في قلب عبده المؤمن.

وهذا هو نور الإيمان والهداية المذكور في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ الآية.

روى ابن أبي حاتم وغيره أنه قيل: يا رسول الله ما هذا الشرح؟

قال: «نور يُقذف في القلب» الحديث وقد تقدم.

روى الترمذي، وأحمد وغيرهما، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أَنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمةٍ، ثم ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضلَّ».

فلم يترك سبحانه عباده في ظلمةٍ، بل ألقى عليهم من نوره ليعرفوه، وليهتدوا بنوره إليه، فمن تعرَّض لذلك النور أصابه فاهتدى، ومن أعرض عن ذلك النور ضَلَّ، وتركهم الله في ظلمات لا يبصرون؛ لأنهم أعرضوا وتولوا.

ومن البديهي في المحسوسات أَنّ من توجَّه إلى النور أضاء وجهه واستنار، ومن أعرض عنه أظلم وجهه وحار.

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ الآية.

فالكافر يتخبط في الظلمات، وأما المؤمن فهو على نور مِنْ ربه.

وهذا النور الإيماني هو المذكور في الحديث الذي رواه أبو يعلى، من حديث الفرات بن سليمان قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا يقوم أحدكم فيصلي أربعَ ركعاتٍ، ويقول فيهنَّ ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «تمَّ نورك فهديتَ فلكَ الحمد، عَظُم حلمكَ فغفرت فلكَ الحمد، بسطتَ يدك فأعطيتَ فلك الحمد» الحديث كما في: (الحصن الحصين) و(شرح المواهب).

وإنَّ أول القلوب، وأعظم القلوب إضاءةً بهذا النور، وأوسع القلوب إشراقاً بهذا النور، وأكثرها نَصيباً من هذا النور: هو قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي أفاض النور على سائر القلوب، والذي أشرق على مرايا القلوب، فانعكس فيها ذلك النور الإيماني على حسب استعداد ذلك القلب وقابليته.

وقد قال كثير من المفسرين المحققين في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾.

إن المراد بالمشكاة هو صدر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والزجاجة هي قلبه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم، والمصباح هو النور الإيماني المحمدي، والشجرة التي يأتي منها المدد هي: شجرة الوحي المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم ـ فالتقى نور على نور.

فسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو مصباح مصابيح القلوب، ونور أنوار البصائر، وهو صلى الله عليه وآله وسلم السراج المنير للقلوب والعقول، والأسماع والأبصار، والأفكار والوجوه، والمدارك والأفهام.

وقد سمَّاه الله تعالى بما سمى به شمس الضياء في علياء السماء، ولكن وصفه بوصف أكمل وأجمل، وأعلى وأسمى من وصف شمس السماء.

قال تعالى في وصف الشمس السمائية: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ وقال تعالى في وصف الشمس المحمدية: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾.

وشتان بين الشمسين: فإنَّ شمس السماء وهَّاجة، فهي تُضرُّ بِوَهْجِها، وإنما يَنتفِع منها الناس بنسبة محدودة، ويستغنون عنها مدة مديدة من الزمن، ونورها إنَّما يُضيءُ للبصر فحسب ـ فهي تُظهر للبصر العينيِّ ما كان محسوساً من الكائنات.

وأما الشمس المحمدية: فهي المنيرة، ومن المعلوم أنه

لا يستغني أحد عن النور: لا في الليل ولا في النهار، وإنَّ النور المحمدي هو المنير للقلوب وللعقول، والأفكار وجميع المدارك، وإنَّ الذي يَسير بلا نور لا يهتدي إلى حقيقة بل يتخبط في الأوهام والظلمات.

فالنور المحمدي هو الذي يكشف حقائق الأمور: للقلوب والعقول والمدارك.

وكما أَنَّ الأبصار العينية لا يَنتفع صاحبها بها إلاَّ إذا مشتْ على شعاع نور خارجي، كذلك أنوار العقول البشرية لا ينتفع بها صاحبها ما لم تمش على ضياء النور المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم، وبذلك تَهتدي لسعادتها وصلاح أمورها.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: إلى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة.

فالأبصار العينية هي في حاجة لنور الشمس السمائية، والبصائرُ القلبية والمدارك العقلية هي في أشدِّ الحاجة إلى نور الشمس المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم.

وإنَّ أتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين اقتبسوا من مشكاة أنواره صلى الله عليه وآله وسلم، وانعكست أنواره صلى الله عليه وآله وسلم في قلوبهم وعقولهم، ومداركهم وجوارحهم وحواسِّهم، سوف يَبْرز ذلك النور عليهم جليّاً منذ انتقالهم إلى برازخ الآخرة، ويسعى بين أيديهم وبأيمانهم في ظلمة القبر، وظلمة الحشر، وظلمة الجسر، ويصحبهم في سائر العوالم.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

والكلام على معنى هذه الآيات سيأتي في بحث الصراط إن شاء الله تعالى.

والمؤمنون هم في ذلك النور على مراتب مختلفة، فمنهم مَنْ نوره كالقمر ليلة البدر، ومنهم كأشدِّ كوكب دُريٍّ في السماء إضاءةً، ومنهم كسائر الكواكب المضيئة، ومنهم ومنهم . . . حتى إنّ منهم من يُعطىٰ نوراً على إبهام قدمه يضيء له مرة ويطفأ أخرى حين يمشي على الصراط، كل أولئك على حسب حالهم واتباعهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكلٌّ متبع له نوره حسب اتباعه.

جاء في: (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكب دُريٍّ في السماء إضاءة» الحديث.

ولكن قد يقال إن تلك البدور الساطعة، والكواكب الدرية اللامعة التي دخل أهل الجنة الجنةَ على نورها وضيائها ـ مِنْ أيِّ شمس استمدادها وانعكاس أضوائها؟

نعم إنَّما ذلك بانعكاسات وإشراقات الشمس المحمدية صلى

الله عليه وآله وسلم فيها، فإنَّ شمس تلك الأقمار والكواكب هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾، وقال في شمس كواكب السماء وقمرها: ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾.

فاعتبر أيها العاقل وتدبّر، ولا تكذِّب بآيات الله وتتنكر.

قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً   وآفته من الفهم السقيم

فلا تكن أصمَّ ولا أبكم، ولا أعمى القلب، فإنَّ الشمس الفلكية هي شمس الأشباح، وأما الشمس المحمدية فهي شمس الأرواح التي تَحيى بها الأشباح.

وإن الشمس الفلكية هي شمس الهياكل والقوالب، وأَما الشمس المحمدية فهي شمس القوابل والقلوب.

وإنَّ الشمس الفلكية هي شمس الأحجار والتُّلول، وأما الشمس المحمدية فهي شمس الأفئدة والعقول.

وإياك أَنْ تقول: إنَّ هذا الكلام من باب ضرب الخيال، أو من باب المثال!!

فإن الله تعالى إنَّما يذكر الحق، ويُخبر عن الحقيقة.

فوَصف الشمس الفلكية بأنها سِراج وهَّاج فذاك حقٌّ وحقيقة، وَوَصف الشمس المحمدية بأنه سراج منير فذلك حق وحقيقة، فلا تتلاعب بالحقائق القرآنية التي أخبر الله تعالى عنها.

قال تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ الآية.

فالقرآن يخبر عن الحق والحقيقة.

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ الآية.

فالقرآن الكريم هو الذي يُبيِّنُ لك الحق، ويكشف لك عن الحقيقة.

* * *